الاخوان المسلمون

كبرى الحركات الاسلامية الحديثة

تأليف الدكتور إسحاق موسى الحسيني

٢١٧ صفحة من القطع المتوسط - نشر دار بيروت ١٩٥٢

للأستاذ عمر عودة الخطيب

هذا الكتاب يجيء في أوانه ، لأن لحركة الإخوان أثرا كبيرا في كثير من الحركات التي شملت الشرق الإسلامي في السنين الأخيرة ، ولا يستطيع المؤرخ المنصف أن يغفل هذا الأثر الذي سجلته الأعمال الجسام والأحداث العظام ، ولذا يجدر بالمثقفين أن يعيروا هذا الكتاب عنايتهم ، وبالنقاد أن يعرضوا له بالنقد والتحليل

أما مؤلفه الدكتور إسحاق موسى الحسيني ، فهو أحد أساتذة الجامعة الأميركية في بيروت ، ومثقف واسع الاطلاع ، وأديب مشرق الأسلوب ، وهو جدير بأن يتناول هذا الموضوع الدقيق بقلمه الحر المنصف ، وأن يحلل هذه الحركة الجبارة بعقله الخصب الواعي ، بعد أن كتب في موضوع الإخوان كثير من الكتاب ، وهم بين أنصار يقومون بواجب الدعاية والدفاع ، وبين خصوم يتناولون الحركة بالتجريح والهجوم ، وقد أصبح طالب الحقيقة الواضحة الصافية حائرا بين هؤلاء وأولئك ، وبقيت هذه الثغرة مفتوحة لم يستطع الكثيرون سدها ، حتى جاء الدكتور الحسيني بمؤلفه الجديد وجعل رائده أن يبحث عن الحقيقة بحياد وإنصاف ، ولذا فهو لا يألو جهدا في تتبع كلام الخصوم والأنصار ، فيؤيد هؤلاء تارة ، ويميل مع أولئك أخرى ، بأسلوب مهذب لبق ، بريء من التهجم ، وخلا عن التعصب ، وحاول أن يكون دائما على الحياد ، وقريبا من الصواب ، بيد أنه — في سبيل هذا الحياد — سلك في بعض الأحيان طريقا وعرة ، وقيد قلمه بقيود ثقيلة ، ما كان أغناه عنها ! ولذا وقع في بعض الأخطاء ، ذلك لأنه يريد أن يقرر في ذهن القارئ بعده عن التحيز لهذه الدعوة ، خشية أن يتهمه أحد بالانتصار لها

وأكبر أخطائه — على ندرتها — وأكثرها شيوعا في كتابه ، رأيه في الحكومة الدينية التي يقول إن الاخوان يعملون لها . ولاغضاضة على الإخوان — في رأينا — أن يسعوا إليها ، ويبذلوا الغالي والرخيص في سبيلها ، لأنها أمنية كل مسلم يقظ ، يعرف ما في الحكومة الإسلامية من خير وسعادة للفرد والمجتمع والإنسانية عامة ، ولكن المؤلف في حديثه عن الحكومة الدينية يقف موقف المعارض لها بأسلوب فيه كثير من اللف والدوران يقول : (لاشك في أن الإخوان لم يطالبوا بالحكومة الدينية عبثا .. لقد رأوا بعض القوانين في مصر تبيح ما نهى عنه الدين ، ورأوا

سيحدث بعد عامين اثنين من إنشائها على الرغم من نجاحها نجاحا منقطع النظير . لم يكن زكي طليمات نبيا ولا مطلعا على الغيب ؛ وإنما أدرك — وهو أسبق من زمنه — أن منهاجه العلمي سيؤدي به إلى النجاح بين قوم لم يتوسلوا من قبل بمنهاج علمي بدليل أنهم كانوا يتوقعون له الإخفاق .. وأدرك من جهة أخرى أن هؤلاء القوم سيحاولون هدم ما بناه .. وأدرك أيضاً أن لا شيء ينال منه إلا أن ينهار البناء ذاته . وربما كان أبرز ما يؤيد صحة مدركاته أن مما تتجه إليه النية الآن إدماج فرقته .. بعد ما أوشكت أن تتداعى — بالفرقة المصرية ... وهكذا يتكشف الباعث الأصيل للمطالبة بإقصائه أو بصيارة أخرى لهدم الصرح الذي أقامه ... وتتكشف تبعا لذلك أغوار هذه المحنة الأخلاقية التي أصبحت مضرب الأمثال

إن شيئاً واحدا أريد أن أسارح به زملائي ، وهو أن زكي طليمات « الفنان » حقيقة تاريخية لا سبيل إلى طمسها ، وإذن فلا ضير عليه ، وإنما الضير على أبنائه الذين ضربوا مثلا رائعا في انتهاز الفرص حتى لقد استباحت ضمائرهم إهدار كرامته وهانت أبوته وأستاذيته ، وكل ما أخشاه أن تكون في الإطاحة به إطاحة بهم وبمدرسته الفنية وبالأمل الذي كان يراودنا في تحقيق نهضة المسرح المصري الحديث

عبد الفتاح البارودي

قانونا يبيح الزنا وآخر يبيح الخمر ، وهما محرمان دينا فثاروا وطالبوا بتطبيق التشريع الديني في جميع الأحوال بلا استثناء ، كما كان الحال في صدر الإسلام ، وهذا هو موطن الدقة في الموضوع ، هل جميع القوانين المدنية أدت إلى ما أدى إليه هذان القانونان ؟ هل كل تشريع مدني فاسد ؟ لو كان الأمر كذلك لكان التشريع الغربي بل تشريع العالم أجمع ؛ عدا القسم من العالم الإسلامي الذي يطبق التشريع الديني فاسدا ، وهو قول سخيف ، فالتشريع يستوحي المصلحة العامة في كل الأمم قاطبة ، والمصلحة العامة تلتقي مع الغرض الأسمى من الدين ، ولا يجوز عقلا أن يختلفا) ص ١٦٥ وموضع الخطر والخطأ في هذا الكلام أن الاخوان بنوا فكرة دعوتهم للحكومة الإسلامية حين رأوا قانوناً يبيح الزنا وآخر يبيح الخمر ، والحقيقة غير ذلك ، لأن كل من يدعو إلى الحكومة الاسلامية سواء أكان الإخوان أم غيرهم ، يستطيع أن يجعل قانون الزنا والخمر مثلا سبيلا لقيام الحكومة الاسلامية ، لأن مثل هذا السبب لا يصح أن يكون وحده أساسا لمثل هذه الدعوة ، وإلا كانت هذه الدولة أخلاقية روحية فحسب ، لاشأن لها في تنظيم المجتمع ، وتنمية الثروة ، والعلاقات الدولية . نعم إن من أهداف الحكومة الاسلامية ، إقامة حدود الله ومنها حد الزنا والخمر ... ولكن ليست هذه وحدها أيضا مما تقوم به دولة الإسلام

والسبب الحقيقي في قيام الحكم الإسلامي إنما هو الإسلام نفسه ... فالاسلام وجد ليحكم ، ويؤسس دولة ، وينشئ أمة ، ويقود عالما ، والعبادة فيه وسيلة لتربية الضمير الإنساني ، ليعدل إذا حكم ، وينصح إذا استشير ، ويخلص إذا عمل ، ويسعى للمصلحة العامة ، ويدفع أذى الأعداء ، والتشريع الإسلامي الذي هو قانون الحكومة الإسلامية ، ينظم شؤون الدولة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية ، وهو صالح لكل زمان ومكان ، لأنه قواعد عامة ، وأصول مرنة ، قابلة للتطور والاجتهاد. وقول المؤلف (بأن التشريع يستوحي المصلحة العامة في كل الأمم قاطبة ، والمصلحة العامة تلتقي مع الغرض الأسمى من الدين ، ولا يجوز عقلا أن يختلفا) في هذا القول تأييد للتشريع المدني وأنه يلتقي مع الغرض الأسمى من الدين ... ولا يجوز عقلا أن يختلفا ، ونحن نعلم أن التشريع المدني يبيح الربا وأن الدين يحرمه ، والتشريع المدني — في كثير من البلاد — يحمي الإقطاع والاستغلال ، والإسلام حرب عليها ... فكيف جاز عقلا أن يختلفا ؟ !

إن فكرة فصل الإسلام عن الدولة ، وإبعاده عن الحكم ، وإقصائه عن التشريع انحراف به عن غايته السامية ، وحبس له في الخلوة والزاوية ، وجعله هيكلا واهنا منحلا ، لا يقوى على رد عدوان ، أو صد هجوم ، وهذا هو ما آل إليه أمر الإسلام بعد أن تكالب عليه الأعداء ، ورموه بالجمود والرجعية ، ووصموا أتباعه بالتأخر والهمجية ، وساموهم سوء العذاب بالاستعمار والطغيان ... ومن المؤسف أن كثيراً ممن شدا طرفا من الثقافة الغربية ، وتأثر بالنهضة الأوربية التي قامت على أساس إبعاد الكنيسة عن الدولة ، يدعون بهذه الدعوة ، وينادون بهذه الفكرة ، ناسين ما بين الإسلام والمسيحية من فروق شاسعة ، وبون بعيد ، وقد تصدى لرد هذه الفكرة الخاطئة الأستاذ سيد قطب في كتابه (العدالة الاجتماعية في الإسلام) [1] وكانت سياسة الإخوان ، ونشاطهم الاجتماعي والثقافي والاقتصادي ، ردا عمليا على هؤلاء الذين يتهمون الإسلام بالجمود ، ويضمونه بالعجز عن تنظيم المجتمع الحديث ، وهم كما قال فيهم الأستاذ الزيات (يحاولون أن يعيشوا في الهيكل الواهن المتحل روح الإسلام الفتية القوية ، التي نقلت البدو الجفاة الحفاة من بوادي الجزيرة رعاة غنم ، إلى حواضر الدنيا قادة أمم) و (هم هم وحدهم الذين يمثلون في هذا المجتمع المسوخ ، عقيدة الإسلام الخالص ، وعقلية المسلم الحق ، إنهم لا يفهمون الدين على أنه صومعة منعزلة ، ولا الدنيا على أنها سوق منفصلة ، وإنما يفهمون أن المسجد منارة السوق ، وأن السوق عمارة المسجد ، وكان للاخوان المسلمين في الإرشاد لسان ، وفي الاقتصاد يد ، وفي الجهاد سلاح ، وفي السياسة رأي)

وهناك أمر آخر وثيق الصلة بموضوع الحكومة الدينية ، وهو اشتراك الجمعية في السياسة ، يخطئ فيه المؤلف فيقول : (وأثرت هذه الإجراءات الصارمة — يعني بطش إبراهيم عبد

(١) راجع الفصل الأول من الكتاب وعنوانه « الدين والمجتمع بين المسيحية والإسلام »

الهادى — فى البنا الذى رأى البيت الذى بناه بيده فى عشرين عاما قد انهار بين ليلة وضحاها ، ويبدو أنه ندم على اشتراك الجمعية فى السياسة ص ٣٦ ، وأحب أن أؤكد للمؤلف أن البنا لم يندم على اشتراك الجمعية فى السياسة) لأن السياسة — فى عقيدته — جزء لا ينفصل من الإسلام ، ولو فرضنا أن هذه الإجراءات القاسية الرهيبة ، أثرت فى نفسه ، فلا يمكن أن يبلغ أثرها حدا يجعله يتخلى عن جزء من عقيدته التى هى عقيدة الإسلام الخالص. على أنى شهدت له موقفاً خالداً مع مندوب الحكومة فى دار جمعية الشبان المسلمين قبل استشهاده بأيام ... رحمه الله — يقول لمندوب الحكومة الفاوض (قل لمن وراءك : إذا كان ملك البلاد ، ومن ورائه حكومته الرشيدة وعلماء الأنام ، كل هؤلاء حرب على الإخوان المسلمين ، فلا أقول عندى مليون أو ثلاثة ملايين ... بل عندى خمسون ، لا يضع الواحد منهم أنفه فى الرغام ، حتى يحطم خمسين من هذه الأصنام) وفى هذا الكلام — بلا ريب — تهديد خطير ، وهو لا يدل على نفس نادمة ، أو عزيمة خائرة ، بل يعنى أن هذه المحنة لم تنل من نفسه ولم تغير من عقيدته ، وكيف ؟! وهو الذى كان يسمى تلك المحنة العصيبة منحة يمحص الله بها الصادقين المخلصين

ثم أراد المؤلف أن يعلل اهتمام الإخوان بالصناعة والشركات، فعجب من أن يفرق الدين بطوفان من الظواهر غير الروحية ص ١٤٥ وقال (إن كانوا يقصدون أن الدين يشرع لهذه المظاهر الدنيوية ، ويفرض سلطانه عليها ، ويحدد سلوك الفرد فيها ، فقد غالوا فى مفهوم الدين ، ووضعوا أمام السائرين فى الدنيا مزالق لا يؤمن فيها العثار) ص ١٤٦ ، ويبدو أن المؤلف الذى يعجب من هذا الطوفان غير الروحى ، لا يريد أن يتخلى عن نظرته إلى الإسلام ، على أنه عبادة وروح وأخلاق ، وأود أن أذكره أن فى كتب الفقه الإسلامى قسما كبيرا للمعاملات ، فيه فصول مسهبة دقيقة تنظم البيع والسلم ، والقرض والرهن ، والتفليس والحجر ، والصلح والحوالة ، والضمان والشركة ، والوكالة والشفعة ، والمزارعة والمساقاة، ولهذه الأحكام الفقهية أدلة قوية، من القرآن الكريم، والحديث النبوى الشريف ، بذل الفقهاء جهداً كبيراً فى استنباطها وترتيبها ... وليس مرد هذا الاهتمام إذاً إلى ممارسة البنا لصناعة إصلاح الساعات كما يقول المؤلف (أما الاهتمام بالصناعة والشركات فربما مرده الأولى إلى صناعة إصلاح الساعات ، التى أتقنها الوالد ، وأولع بها الفتى ، ومارسها كذلك) ص ٤٤ ولا أجد داعياً إلى اتهام الإخوان بالمثالاة فى الدين ، كما لا أجد حاجة لأن يتساءل المؤلف هذا التساؤل العجيب فيقول : (وما الذى حمل الإخوان على مط الدين على هذا النحو ؟) ص ١٤٦ ، فليطمئن على أن الدين لم يمط ، ولن يمط ، لأن فيه إمكانية واسعة لتنظيم شؤون الدين والدنيا

هذه ملاحظات يسيرة ، لا تنقص من شأن هذا المؤلف القيم الذى يحوى بين دفتيه حقائق ناصعة ، وآراء صحيحة ، وتحليلا ناجحا لهذه الحركة . فضلا عن ذلك الإحصاء الدقيق لكل ما يتعلق بالإخوان ، وقد ذيل المؤلف كتابه بالمراجع والشروح التى اعتمدها ، ونقل عنها ، فلا يكاد يترك كتابا أو رسالة أو صحيفة أو مقالة فيها حديث عن الحركة ، إلا ذكرها وأوجز ما فيها ، وقد بذل — ولا شك — فى هذا السبيل جهدا كبيرا ، يستحق أن يسجل بآيات الشكر والثناء

محمود عودة الخطيب

ظهرت الطبعة الرابعة الجديدة للمجلد الأول
من كتاب

وحى الرسالة

للأستاذ أحمد حسن الزيات

طبع طبعا أنيقا على ورق ثقيل وقد بلغت عدد صفحاته خمسمائة صفحة ونيفاً وهو يطلب من إدارة الرسالة ومن جميع المكتبات وثمنه أربعون قرشاً عدا أجرة البريد